الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح وموقفه من التراث اللغوي العربي القديم

أ.د الشريف بوشحدان

قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار – عنابة، bouchahdane23@yahoo.fr

تاريخ الإيداع: 2019/03/18 **تاريخ المراجعة:** 2019/03/20 **تاريخ القبول:** 2019/03/24

ملخص

يُعرَف عن الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح تعلّقه الشديد بالتراث اللغوي العربي القديم. ولم يكن هذا التعلّق بدافع التعصب بل لأنّه اكتشف في هذا التراث حقائق علمية غاية في العمق والدقة لم يجد الكثير منها عند الغربيين قديما وحديثا. درس هذا التراث بموضوعية لم يشبها أيّ تحيّز، وخالية من أيّ حكم جاهز. عمل في كلّ بحوثه التي تناولت هذا التراث على إبراز كلّ ما هو أصيل والاحتجاج له. وسنتناول تفاصيل ذلك في العناصر الآتية: التراث الصوتي – التراث النحوي – التراث الدلالي والمعجمي – التراث البلاغي.

كلمات المفاتيح: حاج صالح، تراث لغوي، عربي، قديم.

Pr Hadj - Salah et attitude vis - à-vis l'ancien héritage linguistique arabe

Résumé

Hadj - Salah est connu pour son fort attachement à l'ancien patrimoine linguistique arabe. Cet attachement n'est pas dû au sectarisme, mais parce qu'il y a découvert des vérités scientifique approfondies qui n'existent pas chez les occidentaux: anciens et contemporains. Il a étudié cet héritage avec toute objectivité et sans préjugés. L'originalité et la valeur scientifique que le Pr Hadj - Salah s'est forcé de les faire paraître et de les justifier dans toutes ses recherches .Nous étudierons tous les détails dans les sous - titres suivants: L'héritage phonétiqueb - L'héritage grammatica l - L'héritage sémantique et lexica l - L'héritage rhétorique.

Mots - clés: Hadj Salah, heritage linguistique, arabe, ancien.

Pr. Hadj - salah and his attitudes towards the old Arabic linguistic heritage

Abstract

Hadj salah is known by his strong attachment to the ancient Arabic linguistic heritage. This attachment does not come from a sectarian background, but because he has discovered in this heritage very accurate and thorough scientific truths that he couldn't find amongst westerner scholars. Hadj – salah has studied this heritage with all objectivity and without prejudices. He dedicated his efforts to reveal and justify the Originality scientific value of this heritage in all his research. More details will be studied the following subtitles: phonetic heritage. Grammatical heritage. Semantic and lexical heritage. Rhetorical heritage.

Key words: Hadj Salah, linguistic heritage, arabic, ancient.

المؤلف المرسل: الشريف بوشحدان، bouchahdane23@yahoo.fr

مقدمـــة

ليس على أيّ باحث أن يحيط بأعمال الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح* تحليلا ونقداً في مداخلة أو مقالٍ مهما طال عدد صفحاته، نظراً لغزارة بحوثه وكثافة المعلومات التي تضمّنتها، ولضخامة المدوّنة الخصبة المشكّلة لمادتها المتمثلة في التراث العلمي واللغوي والفلسفي العربيّ، ثم لسعة اطّلاعه على الثقافات الأجنبية، وخصوصاً اللغوية قديمها وحديثها من مصادرها الأصلية، كونه يتقن لغاتِ أصحابها.

إنّ إشكالية بحثنا نابعة من الغاية الأسمى للبحث اللساني عند الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح، وهي خدمة اللغة العربية والنهوض بها وجعلها لغة الاستعمال الحقيقي اليومي، كما هو حال لغات البلدان المتقدّمة كالإنجليزية والألمانية والروسية والفرنسية وغيرها. وكان أكبر دافع للإسهام في تحقيق هذه الغاية هو اكتشافه للقيمة العلمية للأعمال التي أنجزها اللغويون العرب الأوائل منهم، وخصوصا الخليل وسيبويه. وهي التي لا تزال صالحة وذات فائدة كبيرة للدرس اللساني الحديث، لأنّ كثيراً منها لا يوجد له مثيل في اللسانيات الحديثة. ويُعدّ كتاب سيبويه أهم وثيقة علمية أصيلة في هذا المجال[1]. هذا من جهة، ومن جهة أخرى لعدم اكتراث الكثير من الباحثين العرب واستهانتهم بما تضمنه التراث اللغوي العربي من أعمال علمية يجدر الكشف عنها. ومن أجل نشر الوعي بخطورة هذا الوضع، وبضرورة العمل على إعطاء التراث الاهتمام والعناية اللازمة دعا الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح عبر العديد من المقالات والندوات والمؤتمرات العلمية في عدد من الدول العربية إلى نفض غبار التقليد عن الباحث العربي تجاه التراث العربي وتجاه ما أنتجته اللسانيات الحديثة[2]. ونبّه بالخصوص على أن التراث نوعان:

1- تراث علماء العرب الأوائل الذي ينطلق من أعمال الخليل وتلميذه سيبويه، ويمتد إلى القرن الرابع الهجري عموماً، ويتسم بالأصالة والإبداع. وهؤلاء، في نظر الحاج صالح، هم "الذين أبدعوا مفاهيم النحو العربي ومنهجية التحليل اللغوي الأصيل"[3].

وقد عمل الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح على إقناع الباحثين في اللغة العربية على ضرورة العودة إلى أعمال علماء تلك الفترة، وإلى إعادة النظر في أقوالهم وتفهمها للوقوف على "الحقائق العلميّة التي قلّما توصّل إلى مثلها كلّ من جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب"[4]، ذلك أنّ البحوث التي تناولت أصالة تراثنا اللغوي واستثماره في خدمة العربية علميا وتربوياً ضئيلة جدًّا[5]. ألحَّ على أنّ العودة إلى التراث والوقوف على صحة أفكار العلماء الأوائل وحداثة المفاهيم التي اكتشفوها يتطلب إخضاع أقوالهم إلى الفحص والتجريب لما تتسم به تلك الأفكار من عمق، وما تتسع له من إمكانات تفسيرية وإجراءات تطبيقية[6].

وهذا التحرّج العلمي الذي طبع أعمال العلماء الأوائل، وجعل من النتائج التي حصلوا عليها علمية وموضوعية مائة بالمائة في نظر الحاج صالح هو "حادث لم نشاهد له نظيرا (...) قبل هذا العصر في تاريخ العلم"[7].

2- تراث المتأخرين من العلماء الذين عاشوا على العموم بداية من القرن الخامس الميلادي، حيث لم يحافظوا على المفاهيم الأصيلة التي أبدعها علماء الصدر الأول من الإسلام لاستغلاقها على أفهامهم وعلى أفهام المحدثين من بعدهم، فأصابها التحوّل بل التشويه بعدما أسقطوا عليها تصوّرات اللغويين المتأخرين.

ولا يتوقف الأمر – في نظر الحاج صالح – عند تسوية باحثينا بين ما جاء به الأوائل المبدعون وما صارت إليه أعمالهم بعد القرن الخامس الميلادي مع النحاة المتأخرين، بل في ترديد الكثير من هؤلاء الباحثين لأقوال

الغربيين واعتبارها حقائق مطلقة يجب الأخذ بها والخضوع لأحكامها[8] وتبنّيها دون سابق نظر، مع أنّها قد تكون مجرّد تصوّرات وافتراضات لا دليل تجريبي أو عقلي عليها وليست من الحقائق العلميّة في شيء[9].

والفائدة ممّا سبق أنَّ جوهر ما يبحث عنه الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح في أعمال اللغويين العرب القدامى هو **الأصالة** التي عنى بها التفرّد والإبداع، وهي نقيض للتقليد والتشويه. وهي قيمة علمية عمل على إبرازها والاحتجاج لها في كلّ بحوثه التي تناول فيها التراث اللغوي العربي القديم. وسنتناول تفاصيل هذا الموقف الأصيل في العناصر الآتية:

أولا: التراث الصوتي:

لعلّ أهم مبحث لساني ميّز أعمال الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هو تناوله بالدّراسة الدقيقة للتراث الصوتي العربي الذي تركه العلماء الأوائل خصوصاً عند الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه وبعض من جاء بعدهما أمثال الرّماني والفارابي وابن سينا. ولقيمة ما توصّل إليه عند هؤلاء اللغويين والفلاسفة فقد لفت انتباه الباحثين المحدثين إلى أهمية التراث الصوتي العربي وأصالته، إذ يوجد فيه من التفرّد والإبداع ما لا نجده في الصوتيات اليونانية ولا الغربية الحديثة. وكان أهم بحث أنجزه في هذا المجال وجّهه أساساً إلى الذين ينكرون أن يكون للعرب إسهام متميّز أصيل في الدّرس اللغوي وخصوصاً الصوتي منه. وهؤلاء هم العرب المحدثون والعلماء الغربيون، بيّن فيه بالأدلة العلمية والمنطقية عدم تأثر العرب بالمفاهيم اليونانية خصوصاً التي جاء بها أرسطو، وهو البحث الذي كتبه باللغة الفرنسية وقدّم نتائجه أمام خيرة اللسانيين الغربيين ببراغ سنة **1967**، ونشره بمجلة اللسانيات سنة 1971 بعنوان: «La notion de syllabe et la théorie cinético - impulsionnelle esphonéticiens Arabes»، ثمّ البحث الآخر الذي قدّمه في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة 1999، عنوانه "الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة العربية".

1- الحرف والحركة مقابل المقطع اليوناني؛ رافع في البحث الأول عن أصالة الدّرس الصوتي القديم، وأرجع ذلك إلى أنّ علماء العرب القدامى بنوا تحليلاتهم لأصوات اللغة العربية قبل اطّلاعهم على المفاهيم الصوتية اليونانية، يأتي في مقدّمتها مفهوم المقطع (Syllabe). وتوصّل إلى أنّ فهم العرب للمقطع مختلف تماما عن المفهوم الأرسطي: فالعرب استعاضوا عنه بمفهومي الحرف والحركة، وهما نتاج نظرية أصيلة في الدينامية اللفظية تُعرِّف "الحرف" بكيفية تختلف عن تعريف الغربيين **للفونيم**، وهو "أقلّ ما يمكن أن ينطق به (في مدرج الكلام) ويستحيل النطق به منفرداً"[10]، في حين تعرّف "الحركة" بأنها تلك التي "تمكّن من إخراج الحرف، والسكون لا يمكّن من ذلك"[11]. والفائدة في تحديد مفهوم العرب للحرف في استنتاجات الحاج صالح لأقوال العلماء كالخليل وسيبويه والرماني وابن جنّي وابن سينا والفارابي أنهم لا ينظرون إليه على أنه "جزء أو قطعة" من الكلمة، ولا أدلَّ من ذلك قول ابن الجنيّ في سر صناعة الإعراب: "لا يجوز أن تكون سميت حروفاً لأنها جهات للكلم ونواحٍ كحروف الشيء وجهاته المحدَّقة به"[12].

وعليه فالحرف مفهوم عربي أصيل هو "أصغر مكوّن للكلام"[13] يطلق في مستوى الكلمة على حروف المباني وحروف المد، وعلى مستوى التركيب على حروف المعاني مثل حروف الجر، أو على الضمائر المتصلة مثل حرف المد في "خرجا" للدلالة على المثنى.

أما عن تحديد الحرف باعتباره صوتا فقد أشار الحاج صالح إلى أدق تعريف صوتي تمييزي محض لا نجده عند أهل الفونولوجيا في عصرنا الحديث، هو تعريف ابن سينا في (أسباب حدوث الحروف، ص 60) يقول:

"الحرف هيئة عارضة يتميّز بها عن صوت آخر في الحدّة والثقل تمييزاً في المسموع"[14]. وربما يعدّ هذا اكتشافا لسانيا عمّا أبدعه العرب في الدّرس الصوتي عموما والدّرس الصوتي العربي خصوصاً.

ومثلما اكتشف أصالة مفهوم الحرف عند العرب وبيّن أهمية ذلك علميا وبرهن عليه تجريبياً اكتشف أصالة مفهوم الحركة التي كان علماء العرب يقابلونها بالسكون؛ فالحركة والسكون مفهومان يقول عنهما الحاج صالح إنّه لا يوجد مثلهما في الصوتيات قديما وحديثا[15]. وكان من أهم المقولات التي توقف عندها الحاج صالح هو التحديد الدينامي الذي أورده الرّماني عندما قال: "يُتوصَّل بالحركة إلى النطق بالحرف ولا يتوصَّل بالحرف إلى النطق بالحرف"[16] (14/56/1). وهنا يشير إلى أنَّ الرّماني لا يكتفي بمقابلة الحرف بالحرف، بل يقابلها أيضا بالسكون، يقول: "لأنّ الحركة تمكّن من إخراج الحرف، والسكون لا يمكّن من ذلك"[17]. ويدعّم هذا التعريف بمفهوم دينامي آخر بقوله: "إذا تحرّك الحرف اقتضى الخروج منه إلى حرف آخر"[18]. وهكذا يصل الحاج صالح من هذين القولين الهامين إلى "أنَّ للحركة دورين هامين جدًّا تنفرد بهما هي وحدها دون الحروف التوام (الجامدة منها واللّينة)، وهو تمكين الناطق من إحداث الحرف أولا، وتمكينه ثانيا من الانتقال من مخرج حرفٍ إلى مخرج حرف آخر"[19].

وفي إطار النظرة الحركية (الدينامية) يعود الحاج صالح إلى تحديد مفهوم الحرف منفصلا عن الحركة أو مرتبطا بها، فلكلّ حرفٍ عند الخليل **جرْسٌ**، وجرْسُه هو فهمه في سكونه، و**صرْفٌ** يتمثل في حركته التي تمكّن من إخراجه[20]. وهكذا يحيلنا الحاج صالح إلى وصفٍ آخر للحرف عند العرب القدامى لا نجده في الصوتيات الغربية الحديثة، هو أنّ جرْسه يشكّل هويته الصوتية السمعية، وأما صرفه فيتمثل في حركته المسؤولة عن إحداثه، وفي الخروج منه إلى حرفٍ آخر[21].

2- **الحركة بين الإدراج والتقطيع:** يستند الحاج صالح أثناء مرافعته عن عدم تأثر الصوتيين العرب الأوائل بتحليلات اليونانيين في دراستهم للأصوات بتقطيع الكلام إلى أجزاء، إلى جملة من أقوال هؤلاء العلماء من أهمها قول الرّماني: "يقتضى الوصل التحرّك لتمكين الحرف الذي بعده متحرّكاً كان أو ساكنا"(15/5)[22]. وهذا التحرّك الذي تحدثه الحركات هو الذي يطلقون عليه مصطلح الإدراج[23]، وهو الذي يجعل الحروف مترابطة متسلسلة، لا تتم دراستها بمعزل عن هذا المفهوم الذي يبني عليه اللغويون العرب طريقة معالجتهم للأصوات اللغوية، وهم بذلك في نظر الحاج صالح واعون بأن منطلقهم في التحليل "أنَّ الكلام الطبيعي متّصل بعضه ببعض ولا انقطاع فيه"[24]. ويورد الدليل القاطع لذلك، وهو أنّ الحرف الساكن في الإدراج ليست حاله كحاله في الوقف، وهو ما تضمنه قول ابن جنّي: "الحرف الساكن (...) ليست حاله إذا أدرجته إلى ما بعده كحاله لو وقفت عليه"[25].

وحتى يوضّح بجلاء مفهوم الإدراج في التصوّر العربي القائم على الدينامية اللفظية، وهو الحركة التي تمكّن من النطق بالحرف والانتقال منه إلى حرفٍ آخر بشكل متّصل فإنَّ الحاج صالح يشبّه ذلك الاتصال باتّصال الصور وحركتها في الأفلام السينمائية حيث لا انقطاع فيها بين صورة وأخرى إطلاقا[26].

وفي هذا التوضيح تأكيد لاختلاف التصوّر العربي لمفهوم المقطع عن التصوّر اليوناني حيث علّق على ذلك بقوله: "وما أبعد هذه الرؤية من التصوّر اليوناني الذي يجعل من الكلام مجرّد تعاقب للعناصر الصوتية يَقترن بعضها ببعض دون أن يكون هناك إدراج للحركات المحدثة لها"[27].

واعتمادا على مفهوم الإدراج – وهو مفهوم عربي أصيل – يُقر الحاج صالح بأنّ المقطع في تصوّر اليونانيين ومن تبعهم لا وجود له في واقع الكلام، لأن تأدية الكلام العادي ومنه الحروف المُدرجة فيه يكون بشكل متصل لا

انقطاع فيه شأن سيلان الموائع[28]؛ فالقطع الصوتية (صامت + مصوّت = C + V) لا تشكّل داخل مدرج الكلام استقلالية حركية ولا حتى سمعية، وما دامت الحركات العضوية يرتبط بعضها ببعض باستمرار، ولا وجود لنقطة وقوف (Point d'arrêt) نقول عنها هنا ينتهي المقطع ويبدأ مقطع آخر مثلما يرى (L'Abbé Rousselot)[29] فإنّ المقطع من الناحية الحركية الفيزيولوجية لا وجود له إلا داخل المقطع الوحيد المنفصل[30].

وانطلاقا من مفهوم الإدراج في النظرية الصوتية العربية ميّز الحاج صالح بين نوعين من الحركة:

الأولى: "وهي غير تلك التي تمكّن من إحداث الحرف ووصله بحرفٍ آخر"[31]، وهي الحركة العضوية الهوائية.

والحركة الثانية هي المصوّت القصير، وهو المفهوم السائد عند المحدثين وعند من سبقهم من النحاة المتأخرين الذين لا يعرفون شيئاً عن المفهوم الأول[32].

وللتعريف بهذا المفهوم ومشتقاته وما ارتبط به (حركة، تحريك، تسكين) اقترح على الغربيين[33] ترجمتها إلى الإنجليزية انطلاقاً من مقاييس وضع المصطلحات في لغاتهم (اعتماد الجذور اليونانية واللاتينية)، وهذه المصطلحات هي:

حركة = Kinème (حركة الاندفاع الهوائي) وzéro Kinème لغياب الاندفاع

متحرِّك Kinéisé وضده Akinéisé (قطعة ساكنة)

حركة الهواء Aérokinèse وحركة العضو Aérokinème

حركة الصوت (المصوّتة) Phonokinème

ومن هنا توصّل الحاج صالح إلى استخلاص قواعد التلفظ في العربية ولغاتٍ كثيرة، هي[34]:

1- امتناع الوقف على المتحرّك يقتضي أن يكون متلواً بحرفٍ متحرِّك أو ساكن.

2- لا يمكن أن ينطق بحرفٍ ساكن وحده لأنّه لا يمكن الابتداء بساكن.

3- لا يلتقي ساكنان.

4- الحركة باعتبارها حرفاً هي مصوّت لا استقلال لها، إذ لا يمكن أن يُبتدَأ بها ولا يُوقَف عليها.

ثانيا: التراث النحوي:

يعدّ التراث النحوي العربي في القرون الأربعة للهجرة مصدر اهتمام الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح بالدراسة اللسانية العربية التي عمل من خلالها على وضع نظرية نحوية أطلق عليها "النظرية الخليلية الحديثة. وهذا بعد اكتشافه لأصالة التراث اللغوي العربي خصوصاً الذي جاء به العلماء الأوائل بدءًا من الخليل وسيبويه ومن جاء بعدهما في القرون الأربعة الأولى خصوصاً.

وكان أول ما قام به الحاج صالح في دراسته للتراث اللغوي هو الدفاع عن أصالة النحو العربي بالبرهنة على أصالة الأسس التي انطلق منها، وعن عدم تأثره بالأنحاء اللغوية غير العربية، وبالتصوّرات الأجنبية مثل منطق أرسطو اليوناني، فأنجز بحثا في الموضوع لم يسبقه أحد إليه؛ بيّن فيه بالأدلّة العلمية والمعالجة المنهجية عدم تأثر النحو العربي والنحاة العرب الأوائل بالمنطق الأرسطي، عَنْونَه بـ "النحو العربي ومنطق أرسطو" برهن فيه "بالأدلة التاريخية والعقلية أنّ النحو العربي هو في جوهره لغوي محض"[35]، بُني على الإفادة التي قوامها التخفيف والفرق، وهو مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي دعت إليه اللسانيات الحديثة، وهو الذي جعل من اللغة أداة للتعبير عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة.

ردّ على المستشرق مركس (Merx) في كلّ القضايا التي أثارها نقطة نقطة. وهي قضايا تاريخية ومنطقية وفلسفية، منها عدم تمييز مركس بين النظر العقلي والمنطق الأرسطي وكأنهما شيء واحد؛ وبالتالي لا يمكنه أن يثبت تأثير المنطق الأرسطي في النحو العربي[36].

وأما القضية الثانية فلم يرد في كتب المؤرخين ذكر "عن أخذ اللغويين العرب القدامى شيئاً من النحويين أو عن غيرهم[37]، ولم توجد ولو إشارة خاطفة في أيّ كتاب نحوي – ومنها كتاب سيبويه – إلى أيّ مصدر أو عالم أجنبي من اليونان أو السريان أو غيرهم تمَّ الأخذ منه.

وجوهر القضية الثالثة تدلّ على أنّ التقسيم الثلاثي للكلم في العربية (اسم وفعل وحرف المعنى) لا وجود له في كتب أرسطو حتى نقول إنه مأخوذ عنه[38]. ويستدل الحاج صالح على ذلك بأنّ أرسطو في كتابيه: العبارة (باري أرمينياس) والشعر (**Poética**). يُقسِّم الكلام تقسيما غير ثلاثي. أما في كتاب العبارة فجعل مما يسميه بالأقاويل صنفين أساسيين هما **Onoma** و**Rhema**، وهما على التوالي في ترجمة حنين ابن إسحاق "الاسم والكلمة"[39]. وأمّا في كتابه الشعر (Poética) فيقسّم ما أسماه بـ Lexie (المقولة) إلى ثمانية أقسام هي: الهجاء، المقطع، الرباط، الاسم، الكلمة، الفاصلة، التصريف، القول[40].

وهكذا فبالعودة إلى كتابي أرسطو وتتبع ما كتبه أشهر النحاة في أوروبا ومدى تأثيرهم في الثقافتين السريانية والعربيّة توصّل إلى أنّ هذا التأثير منعدم. وبعد ذلك أجرى مقارنة دقيقة بين مفهومي الكلمة والاسم عند أرسطو وسيبويه، وتوصل إلى أن الاسم والفعل عند سيبوي هغير الاسم والكلمة عند أرسطو. وهما عند سيبويه يشكلان مادة الدّراسة النحوية، وهي الحديث الذي هو تبادل كلامي بين متكلّم ومخاطَب، ذو فائدة. بينما هو عند أرسطو (اسم وكلمة) قائم على صحة الحكم وبطلانه لا الإفادة[41].

ثـمّ بـيّن بالمقارنـة بـين العربيـة واليونانيـة وحتـى اللاتينيـة أنَّ مفهـوم الصّـرف عنـد العـرب غيـر مفهـوم Conjugaison (تصريف الأفعال) ولا Déclinaison تغيير أواخر الكلم (التحوّل الإعرابي)[42].

ويختم الحاج صالح بحثه بأنّ المنطق الأرسطي لم يجد طريقه إلى النحو العربي إلا بعد أن أصبح هذا النحو ناضجاً مكتملا؛ فلم يكن على اتصال بالمنطق الأرسطي في بدايات نشأته "لا في مناهج بحثه ولا في مضمونه التحليلي"[43].

وكانت الخطوة الثانية هو الإعلان عن تأسيس النظرية الخليلية الحديثة وتميّزها داخل الدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي. لم تنشأ النظرية لمجرّد تبجيل التراث وتقديسه بل بعد "تبيّن (...) الأهمية العظمى لأقوال الخليل وسيبويه وأتباعهما ولتحليلاتهم التي كشفت عن مفاهيم علمية لا تقلّ عمقا ودقة عن مفاهيم اللسانيين الغربيين المحدثين. وتلك المفاهيم يمكن استغلالها في الميادين التطبيقية كالتكنولوجيا والتعليمية وعلاج أمراض الحُبسَة. وقبل أن يوضّح الأسس النظرية التي انبنت عليها النظرية الخليلية الحديثة قدّم نظرة نقدية للسانيات البنوية وللأسس التي تقوم عليها في تحليل اللغة، فأكّد أنّ أصحابها لم يتخلصوا من النزعة الأرسطية دون أن يشعروا بذلك على العموم.من ذلك أنّ مبدأ الهوية (Identité) في التحليل الفونولوجي قائم على تحديد العناصر والوحدات اعتماداً على مبدأ التقابل. وذلك التحليل لا يتجاوز مجرد تشخيص العناصر وتصنيفها. أقامت دراستها للغة اعتماداً على مبدأ الاشتمال (Inclusion) دون غيرها من العلاقات، فعمدت إلى تحليل الكلام إلى قطع هي في المستوى الأدنى تسمى فونيمات يرتبط بعضها ببعض في مستوى أعلى منها تسمى كلمات (مورفيمات أو مونيمات Morphèmes et monèmes)؛ تتّحد كلّ وحدة في كلّ مستوى وعلى كلّ محور بمقابلتها

وبقابلية استبدالها بقطع أخرى. واعتبروا تلك القطع وحدات.وهذا التحديد – في نظر الحاج صالح – يكتفي بالتشخيص الساذج،ولا يعرف من التحديدات على المستوى الدلالي إلا التحديد بالجنس والفصل[44].

وفي المقابل يصف الحاج صالح النحو العربي بأنّه لا يكتفي بالعلاقة الاشتمالية، فلا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل، بل يتجاوز ذلك إلى عملية "إجراء الشيء على الشيء أو حمل عنصر على آخر"[45] من أجل استنباط البنية الجامعة بحمل كل جزء من الوحدة – ولتكن كلمة – على نظيرها مع اعتبار موضع كلّ جزء منها.

فالخصوصية الصرفية لبنية الكلمة في اللغة العربية يجعل تحليلها اعتماداً على التقطيع البسيط المعتمد في تحليل اللغات الأوربية كالفرنسية والإنجليزية والإيطالية أمراً غير ممكن وإلاّ سيتعسّف في إجراء ذلك. وقد اعترف الحاج صالح لتشومسكي صاحب نظرية النحو التوليدي التحويلي في كتابه "البنى التركيبية" بالفضل على اللسانيات الحديثة، حيث أعاد للتحويل قيمته ودوره في دراسة اللسان بعد أن غيّبته اللسانيات التاريخية ثمّ البنوية[46]. غير أنّه يأخذ عليها أنّها لا تعرف من التحويل إلا نوعاً واحداً، هو الذي يربط بين البنية العميقة والبنية السطحية. وهذا لا يقابل في النظرية العربية إلا ما أطلق عليه الحاج صالح "التحويل التقديري" الذي لا يغيّر المعنى لأنّه مجرّد تمثيل عند محاولة تفسير الأبنية التي يعتريها بعض اللبس نتيجة ما وقع فيها من حذف. نجد ذلك في كتاب سيبويه مثلا في أبواب الاتساع والإيجاز والاختصار والإضمار، وكذلك أبواب الإبدال والقلب وغيرها في مستوى الكلم[47]. غير أنّ النحاة العرب لم يكتفوا بالتحويل التقديري – في نظر الحاج صالح – **بل جعلوا النظام كلّه تحويلا**، وهو انتقال من الأصول إلى الفروع والعكس؛ فالجملة المبنية للمفعول متفرّعة عن المبنية للفاعل، التي هي أصل لها، ونواةٌ ينطلق منها للتفريع، وهذا التحويل – في نظر الحاج صالح – مع الأسف اختفى في النظرية النمطية[48].

زوّدن **ابتحديدات دقيقة للأصل والفرع** هي من أشهر أقواله: "فالأصل عند العرب ما يبنى عليه ولا يُبنى هو على غيره، وهو ما يستقل بنفسه (...) ولا يحتاج إلى علامة تميّزه، فله العلامة العدمية "Marque zéro". والفرع هو الأصل مع زيادة، أي شيء من التحويل"[49]. وقد نبّه القارئ إلى أنّ التحويل هو أيضا حركة عكسية يسميها النحاة "ردّ الشيء إلى أصله". وبهذا التصوّر يزداد التباعد بين التحويل العربي وتحويل النظرية النمطية لتشومسكي، وهو غير التقابل القائم على اختلاف الهوية عند البنويين الوصفيين. فالتحويل العربي هنا عند الحاج صالح هو المقابلة بالنظير (Bijection) في اصطلاح الرياضيين لمجموعة من العناصر على مجموعة أخرى. وإنَّ مجموعة العمليات التحويلية بين المجموعتين الأولى والثانية يشكّل ما يسمى عند الرياضيين المحدثين بالزمرة (Groupe)[50].

بعد هذه المقارنة المختصرة بين التحليلين اللسانيين عند العرب القدامى والبنوية الأوربية: الوصفية والتوليدية التحليلية التي تكللت بتوضيح الفروق الجوهرية بينهما، ينتقل الحاج صالح إلى استخلاص المفاهيم الأساسية للنظرية العربية التي يمثل الخليل بن أحمد الفراهيدي أبرز من وضع أسسها وهياكلها، وهذه المفاهيم هي[51]:

1- مفهوم الاستقامة. **3-** مفهوم الموضع والعلامة العدمية.

2- مفهوم الانفراد وحدّ اللفظة.**4-**مفهوما العامل والعمل.

1- مفهوم الاستقامة: يشير في هذه النقطة إلى أنّ الاستقامة هي السلامة اللغوية؛ وتكون على مستويين، وهي بذلك نوعان:

- سلامة راجعة إلى اللفظ.
- سلامة راجعة إلى المعنى.

ويشير إلى أنّ سيبويه هو أول من اكتشف ذلك في كتابه، وهو أول من ميّز بين السلامة التي يقتضيها القياس في لغة ما، والسلامة التي يفرضها الاستعمال الحقيقي للناطقين بتلك اللغة. واستنتج من تحديدات سيبويه أن تحليل اللغة نوعان[52]:

- تحليل يخصُّ اللفظ وحده، فيكون بذلك تحليلا لفظيا نحويا (Sémiologico - grammatical).
- تحليل يخصُّ المعنى (تحليل معنوي Sémantique).

وكان أهمّ ما قدّمه في هذا السياق وأكّد عليه هو عدم الخلط بين ما يعود إلى اللفظ وبين ما يعود إلى المعنى، لأنّ أيّ خطأ من هذا النوع يتسبب في خلل منهجيّ في التحليل ما يؤديّ إلى نتائج خاطئة.

2- الانفراد وحدّ اللفظة: يقع الانفراد في مستوى من التحليل أعلى من المستوى الصوتي، وهو صفة في الألفاظ التي تنفصل بنفسها ويُبتدأ بها، ويتمثل في الاسم الذي يُتفرّع عليه ولا يمكن أن يتجزأ إلى لفظ آخر منفرد. وهذا الذي وسمه الرضي الاسترابادي "باللفظة"، وترجمها الحاج صالح بـ "Lexie"، وتعدّ من أهم اكتشافات النظرية الخليلية الحديثة في التراث العربي.

إنّ الانفصال والابتداء يحدثان في اللفظ دون المعنى كما يؤكّد ذلك الحاج صالح[53]. أمّا على مستوى الإفادة (الدلالة) فإنّ اللفظة يمكن أن تكون جملة مفيدة، يقول بأنها "تحتلّ مكاناً يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة"[54].

ولكلّ لفظة أصل ينطلق منه هو نواة لها. لذلك فإنّ النواة يمكن أن تتسع بحملها على غيرها عندما تقبل الزيادة يمينا ويساراً دون أن تفقد انفرادها واستقلاليتها ووحدتها، فلا ينفرد أيّ جزء منها. وهذه القابلية للتوسّع يمينا ويساراً هي التي يسميها النحاة – مثلما يشير إلى ذلك الحاج صالح – التمكّن والذي ينقسم إلى قسمين: التمكّن الأمكن وهو الاسم المتصرّف، والتمكّن غير الأمكن وهو الممنوع من الصرف. أما المبني فهو لا متمكّن ولا أمكن. وانطلاقا من هذا التصوّر يرى الحاج صالح أنه يمكن بناء **المثال**، وهو الحد (Modèle)، وهو تحديد لفظي محض[55].

ولابُدّ من الإشارة هنا إلى أنّ الحاج صالح لفت انتباهنا إلى وجود فرق بين الكلمة العربية والمورفيم (Morphème) في اللغات الأوربية، إذ أنّ الكلمة ليست دائما مورفيما؛ فالعنصر الدال يمكن أن يحذف دون أي ضرر أو تغيير للعبارة[56]. وأما العنصر غير الدال كالتاء في (افتعل) وحروف المضارعة، فهذه ومثلها هي مورفيمات وليست كلماً، لأن حذفها يؤدي إلى تلاشي "اللفظة". وعليه فالمورفيمات ليست كلمات بل مكوّنات الكلمة "وليس لها الاستقلال النوعي الذي للكلم"[57].

3- مفهوما الموضع والعلامة العدمية: يرى الحاج صالح أنّ "المواضع التي تحتلها الكلم هي خانات تُحدَّد بالتحويلات التعريفية، أي الانتقال من الأصل إلى مختلف الفروع بالزيادة التدريجية"[58]، وتتمّ الزيادة إذن بالتحويل والعكس؛ فقد ننتقل من الفرع (الأصل بزيادة) إلى الأصل "ردّ الشيء إلى أصله". وبهذا الشكل تتحدّد المواضع داخل المثال وهو كيان مجرّد. ويوضّح مفهوم الموضع بقوله إنّ "الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر"[59]. فمثلا المواضع التي هي حول النواة قد تكون فارغة لأنها قد تُحتَل من عناصر أخرى في سياقاتٍ أخرى.

يُطلق الحاج صالح على خلو الموضع من عنصره اللغوي: **علامة عدمية** (Marque zéro)، وهي تلك التي تميّز الفروع عن أصولها (المؤنث عن المذكر، والمثنى والجمع عن المفرد...)، وكذلك العامل اللفظي الظاهر عن العامل المعنوي الذي يطلق عليه **الابتداء**[60].

4- مفهوما العامل والعمل: في مستوى أعلى من اللفظة تحلّل الجمل وفق قاعدة تركيبية عامة تشمل أنواع العلاقات التي تحكم الجمل العربية.وتنقسم تلك العلاقات إلى نوعين: الأولى **أساسيّة** وهي **علاقات بناء**، والثانية **ثانوية** وهي **علاقات وصل**. وقد صاغها الأستاذ الحاج صالح وفق **بِنية جامعة**، كما يلي[61]:

بناء وصل

$$[(ع \leftarrow م1) \pm \sqrt{م2 \pm}] \pm خ^{(*)}$$

اكتشف عند سيبويه أنّ العامل والمعمول الأول يشكلان نواة التركيب. وأمَّا العلاقة التي تربط بين العامل والمعمول الأول، وبينهما وبين المعمول الثاني فتسمى علاقة بناء، وتقع بين معقوفتين كالعلامة بين المبتدأ والخبر. وأما علاقة الوصل داخل التركيب فتشمل المخصّصات، كالحال والتمييز والظرف والمستثنى المنصوب والمفاعيل من دون المفعول به لأنّه عنصر أساسي يضمّه موضع م2. وينتج عن هذه البنية أنّ العامل لا يتأخّر عن معموله الأول أبداً، فهما يكوّنان ما أطلق عليه الحاج صالح مصطلح الزوج المرتّب (Coupleordonné)[62].

ثالثا: التراث البلاغي: اقترنت دراسة التراث البلاغي عند الأستاذ الحاج صالح بدراسته للنحو العربي.من ذلك أنّ لفظة "**فصاحة**" التي عرفت عند الباحثين العرب بأنّها مصطلح بلاغي قد تناولها الحاج صالح في دراسته لكتاب سيبويه[63]، وهو كتاب في النحو العربي. ارتبطت الفصاحة بمستعملي اللغة العربية الموثوق بعربيتهم، وهم الفصحاء؛ وهي صفة لغوية في من يتكلّم العربية ونشأ بين أهلها، ولم تتغيّر لغته بحكم الاختلاط بأقوامٍ أخرى، ويصحّ الاستشهاد بكلامه[64].

هذا وقد ميّز الحاج صالح بين نوعين من الفصاحة: فصاحة لغوية وفصاحة بلاغية؛ فقد عُدَّ بشار المعروف ببلاغته وشعره بأنّه فصيح بلاغيا، وغير فصيح لغوياً، لأنّ اللغة التي نشأ عليها هي الفارسية وليست العربيّة[65].

والأمر نفسه يخصّ مفهوم البلاغة التي تنقسم إلى قسمين: **علم المعاني** و**علم البيان**.

أما علم المعاني الذي يعدّ المظهر الأول للبلاغة فهو عند الحاج صالح امتداد لعلم النحو، لأن البلاغة هنا هي صفة لكيفية استعمال المتكلم للمعطيات اللغوية إفرادا وتركيبا (معاني النحو)، أي الوجوه التي يقتضيها استعمالنا للنحو[66].

أما مظهرها الثاني فيتمثل في علم البيان. وعلى مستواه تنظر البلاغة في التحويلات التي تربط بين المعنى الوضعي والمعنى المقصود، أي "استعمال اللفظ في غير ما وُضع له في أصل اللغة كالمجاز والاستعارة"[67].

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنّ العرب قد ميّزوا في دراستهم للغة باعتبارها خطاباً، حيث يُنظر فيها إلى الجانب الإعلامي الدلالي الخاص بتبليغ الأغراض والمقاصد من المتكلّم والسامع، وعدم خلطه بالجانب اللفظي النحوي وكل منهما يتميز: "بمنهجية خاصة به وبمبادئ وقوانين لا تمتّ بسبب إلى الجانب الآخر"[68].

فالجملة المفيدة عند النحاة هي ما يحسن السكوت عليه من الكلام، وهي بعبارة أخرى الكلام المُستغنى. وأما عناصر الجملة الأساسية فاثنان هما: المسند والمسند إليه؛ يتمثل الأول في الخبر، ويتمثل الثاني في المُخبَر عنه، يتحققان في التركيبين (فعل وفاعل)، أو (الاسم المخبر عنه والخبر)[69].

وفي هذا السياق يرى الحاج صالح أن العرب ربطوا بين دراسة الخطاب وبين ما ينتجه النحو لصاحب الخطاب من طرق متنوّعة للتعبير عن المعنى الواحد، وهو تلازم يجعل من البحث في أغراض المتكلم وطرق أدائه هي "أصل الأصول في تحليل النصوص" عنده[70].

وللحاج صالح إسهام بارز في هذا المجال، فقد كشف من قراءاته للتراث اللغوي العربي عن نظرية عربية في تحليل الخطاب والنصوص مرتكزاً على النقائص التي اعترت المذهب البنوي، أهمها انطلاق البنويين في الدراسة اللسانية من الكلام بعد أن يكون قد وصل إلى متلقيه وأصبح منتوجاً، أي دراسته منفصلا عن أحوال إحداثه[71]، مع أنّ اللغويين الغربيين أنفسهم – مثلما يشير إلى ذلك – قد اتجهوا منذ أكثر من نصف قرن إلى تحليل الكلام في إطاره الطبيعي وهو التخاطب، فانتقلوا إلى التركيز على الكلام باعتباره فعلا (Enonciation) لما تنتجه عملية التحدّث لا باعتباره قولاً منفصلا عن أحوال إحداثه[72].

ومن البحوث القيمة التي كتبها عن العربية المعاصرة بحث "اللغة العربية بين المشافهة والتحرير"، وملخصها تصحيح المعتقدات الخاطئة عن اللغة العربية الفصحى واستعمالها، وعن موقع العاميات فيها: فقد أكّد على ذلك الاتصال الذي يعطي للعربية الفصحى حيويتها وارتباطها بواقع الاستعمال، ونفى أن يعدّ كل ما هو موجود في الفصحى من عامياتٍ خطأ فيها. وقد توصّل إلى تحديد أوصاف فصحى التخاطب العفوي الشفوي التي تستعمل لتأدية حاجاتٍ تتكرّر يوميا، وهي تلك التي حدّدها القدامى انطلاقا من تأديات فصحاء العرب ومن الأداء القرآني، وهي أوصافٌ يراها الحاج صالح موجودة في كلّ لغات الدنيا[73]. وتلك الأوصاف هي:

1- **اختزال المصوّتات:** منها الحركات الإعرابية، فلا يجوز الوقوف على متحرّك مهما كان وضع الكلمة الإعرابي، وهو ما يقتضي سقوط الحركة والتنوين، ومنها اختلاس حركات بناء الكلمة (الحركات غير الإعرابية)، إذ يكثر ذلك عند تواليها؛ فالعرب تقول أراك منتفْخاً عوض منتفِخاً، أو في حال استحالة الإدغام مثل: شهرُ رمضان = شَهْ ر رَمضان

اسمُ موسى = اسْم موسى[74]

2- **اختزال الحروف أو المشاكلة أو التقريب:** كالتقريب بين السين والزاي في تسْدير = تزْدير وعنبر = عمبر، انقُد طالباً = انقطالبا، وإخفاء النون في غير حروف الحلق مثل:

مِنْ لدُنه = مِلّدُنه

مِنْ رَبّهم = مِرَّبّهم[75]

وتخفيف الهمزة وخصوصاً في الوقف، وكان عدد كبير من أهل الحجاز يخفّفونها. ويوجد من القرّاء مَن يستحبّ ترك الهمزة في القرآن الكريم (منهم حمزة)، وخصوصاً إذا كانت ساكنة مثل: يُومن – ياخُذ – ذِيب – بِير، خصوصاً على مستوى الإدراج. ويؤكّد الحاج صالح أنّ مثل هذا الأداء كثير في كلام العرب[76].

والهدف الأسمى من عرض هذه الأوصاف هو إعادة العفوية اللغوية التي فقدت من استعمالنا للغة العربية، وليس هذا دعوة إلى التخلي عن لغة التحرير التي تبقى المستوى المستخدم في التعليم والبحث والإدارة وفي إلقاء المحاضرات والمناقشات الأكاديمية.

وقد شدّد الحاج صالح على عدم الخلط بين المستوى الأول الذي أطلق عليه الاسترسالي، ويحصل عادة في مواضع الأنس والاسترخاء، وبين المستوى الثاني الذي أطلق عليه الإجلالي ويحصل في أحوال خصوصية تتطلب العناية بما يتفوه به المتكلّمَ وما يحدثه من صياغة. وهذه العناية هي التي نجدها في لغة التحرير[77].

وكان نتيجة للمواقف الخاطئة التي أحدثها الصراع غَير البنّاء بين العاميات والفصحى بروز نزعتين بغيضتين في نظر الحاج صالح، هما قبول الأخطاء الشائعة من جهة بدعوى شيوعها في الاستعمال، والتعسّف في التخطئة من جهة أخرى بدعوى الحفاظ على سلامة العربية، لغة القرآن الكريم؛ فقد وقف الحاج صالح موقفا وسطاً بين النزعتين المتباعدتين، وهو عدم الانسياق وراء التخطئات المشبوهة كتلك التي تعتمد على المنطق أو "كتلك التي أثارها المتأخرون من النحاة الذين لم يشافهوا العرب ولم يأخذوا منهم مباشرة"[78]. ومن ناحية أخرى عدم قبول الأخطاء التي وردت على ألسنة بعض الباحثين بدعوى شيوعها مع وجود البديل السليم لها في كتب اللغويين القدامى.

رابعا: التراث الدلالي والمعجمي: نظر الحاج صالح إلى التراث المعجمي العربي نظرة تطوير اللغة العربية؛ فكل ما يلاحظه القارئ لعناوين أعماله في هذا المجال هو ربطه التراث بالتكنولوجيا وتطوير اللغة العربية وتطوير تدريسها. والهدف الأسمى هو تحقيق فعالية استعمال اللغة العربية ومضاعفة مردودها التبليغي بمواصلة العمل انطلاقا مما تركه لنا العلماء الأوائل وعدم الاكتفاء به، بل لابُدَّ من تفعيله، فالمادة المعجمية كبيرة جدًّا، ولكن الذي ينقصها هو استثمارها في تعليم العلوم والمعارف المختلفة[79].

وجّهه نقداً منصفا – في نظرنا – للمعاجم العربية القديمة انطلاقاً ممّا لاحظه بعض المحدثين في تهاون أصحابها في التحديد الدقيق للألفاظ ذات المدلولات المخصوصة "كأسماء الأعيان من الحيوانات والنباتات وبعض الملابس والأدوات"[80]، وعدم تمييزهم المفردات اللهجية عن المفردات العامة وعدم ربطها بالقبيلة أو اللهجة التي تنتمي إليها. غير أنَّ الحاج صالح رأى شيئاً أهم من ذلك، هو أنّ أصحاب المعاجم قد سكتوا "عن مدى استعمال العرب للمفردة الواحدة"[81]، وهذا غير الذي كان يفعله علماء اللغة الأولون مثل سيبويه، إذ يشير في كتابه في كلّ مرة إلى ورود لفظة أو صيغة أو تركيب بكثرة أو بقلة[82].

وكان الحاج صالح لا يؤمن بوجود لغة ذات استعمال واسع قوي إذا لم نجدها في مخاطباتنا اليومية، وتعاملاتنا الإدارية، وفي التعليم، وفي كلّ مؤسسات الدولة. ونجدها أيضا في لغة الباحثين والأكاديميين؛ لغة تتقلّص فيها الفوارق بين استعمالات المثقفين والعلماء، وبين لغة التخاطب عامة كما هو حال كلّ لغات الأمم المتحضّرة[83]. وكان الباعث الجامع للبحث في تطوير استعمال اللغة العربية في جميع مناحي الحياة اليوميّة والعلمية هو الاستعمال الحقيقي لها. وإنّ ربط اللغة بواقع الناس وتطوّر حياتهم على مختلف الأصعدة في ظل (التطوّر التكنولوجي) والإعلامي الواسع لا يمنع علماء العربية من الرجوع إلى تراثهم بل يستوجب عليهم ذلك في نظر الحاج صالح الذي آمن بأنّ للعربية تراثا حضاريا ربما لا يوجد ما يماثله في أي لغة في الوجود[84]. كيف لا وهو يعرف أنّ معاجم العربية وحدها تزخر بالآلاف من الألفاظ الحضارية يمكن استرجاعها وإدخالها في الاستعمال من جديد، وقد حصل ذلك بالفعل"[85].

وقد جاءنا بأمثلة عن المفاهيم الحضارية، أخذها من معاجم عربية كبيرة، كتهذيب اللغة للأزهري(370هـ)، والمخصّص لابن سيدة (458هـ)، ولسان العرب لابن منظور(711هـ)، وتاج العروس لمرتضى الزَبيدي(1201هـ).

ويرى الحاج صالح أنّ المعاجم والقواميس مهما تعدّدت وتنوّعت محتوياتها اللفظية والدلالية، فلا يمكنها الإحاطة بكل سياقات استعمال اللفظة الواحدة، ولم يحاول الباحثون فرادى أو جماعة القيام بمسح شامل لمجموعة ما من الكتب القديمة بحثاً عن الألفاظ الحضارية وسياقاتها لأنّ ذلك – في نظر الحاج صالح – يفوق طاقة الفرد الواحد بل المؤسسة الواحدة.

إنّ أهمية هذا العمل وضخامة الجهد الذي يتطلب إنجازه جعل الحاج صالح يقترح مشروعاً كبيراً وُصِف بالحضاري، تشترك في تنفيذه كلّ البلدان العربية والمؤسسات العلمية والثقافية، أطلق عليه **مشروع الذخيرة العربية** أو **الانترنيت العربي** الذي اقترحه على المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في ديسمبر 1987 ورحّب به اتحاد المجامع في سنتي 1999/98[86].

ومن فوائد هذا المشروع كما حدّده صاحبه:

1- الاعتماد في البحث عن المصطلح أو في عملية وضعه على واقع استعمال اللغة العربية في القديم أو الحديث.

2- الاعتماد في انتقاء الألفاظ المناسبة على مقياسين لغويين هما الشيوع ودقة الدلالة على القصد.

3- توفير بنك آلي للنصوص في مختلف المعارف والتخصّصات عبر العصور، ومن ثمَّ تسهيل عملية البحث عن التطوّر الدلالي لألفاظ اللغة العربية، وبالتالي إمكانية وضع معجم تاريخي لها[87].

4- فهرسة آلية للنصوص العربية العلمية والأدبية منذ القدم إلى يومنا هذا، مع تصنيف الألفاظ الحضارية، والمصطلحات، ونسب تردّد كلّ منها.

5- توفير الإمكانات اللازمة لوضع معجم شامل للغة العربية المستعملة بالفعل، تُخصَّص فيه لكلّ مدخل دراسة لغوية دقيقة[88].

خاتمـــة

ومحصول الكلام أنّ الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح من العلماء العرب المحدثين القلائل الذين أفنوا أعمارهم في دراسة التراث اللغوي العربي. اكتشف فيه قيمة علمية كبيرة تحتاج إلى مزيد من العمل إلى استخراجها وإعادة صياغتها وتوضيح مفاهيمها، بل استثمارها الجيّد في خدمة اللغة العربية. واصل البحث في الاتجاه الذي رسمه علماء العرب الأوائل من أجل مواكبة الدّراسات اللسانية الغربية في الجوانب العلمية والتعليميّة، ودعا في الوقت نفسه الباحثين العرب إلى عدم الاكتفاء بما تركه القدامى. ولا أدلّ من ذلك تحقيقه لإنجازين كبيرين مصدرهما التراث اللغوي العربي وغايتهما خدمة اللغة العربية علميا وحضاريا، هما:

- وضعه لأسس نظرية لسانية عربية أصيلة هي النظرية الخليلية الحديثة.
- تأسيسه لمشروع حضاري عظيم هو الذخيرة العربية أو الإنترنيت العربي.

الهوامش:

* البحث في الأصل مداخلة ألقيتها في ملتقى اللسانيات العربية الحديثة الذي انعقد بجامعة الجزائر(2)، يومي 20 – 2 نوفمبر، 2017.

* الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح أحد رواد علماء اللسانيات في الوطن العربي. ولد بمدينة وهران (الجزائر) في 1927/07/08م. زاول تعليمه الابتدائي و الثانوي زمن الاستعمار الفرنسي في المدارس الحكومية وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين. سافر إلى مصر سنة 1947م وانتسب إلى كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر سنة 1954 حيث اكتشف هناك أنّ للعرب القدامى تراثا علميا ولغويا ضخما، يتميز بالثراء، ويحتاج إلى جهود كبيرة لبعثه واستثماره في خدمة اللغة العربية والدراسات اللسانية المعاصرة.

لم يكمل دراسته بمصر، فالتحق بجامعة بوردو Bordeaux بفرنسا، ثمَّ سافر إلى المغرب وعمل مدرّسًا للغة العربية بمرحلة التعليم الثانوي بالرّباط في نهاية الخمسينات ، ثمَّ أستاذا للسانيات لأول مرة بقسم اللغة العربية، جامعة محمد الخامس بالرّباط من 1960 إلى 1962.

بعد استقلال الجزائر التحق بجامعة الجزائر، وأصبح رئيسًا لقسم اللغة العربية وآدابها سنة 1964، ثمّ عميداً لكلية الآداب سنة 1968.وفي هذه السنة عمل أستاذا زائرًا بجامعة فلوريدا بالولايات المتّحدة الأمريكية، والتقى هناك بعالم اللسانيات الأمريكي نعوم تشومسكي (N.Chomsky).

وفي سنة 1979م ناقش أطروحته لدكتوراه الدولة بجامعة السوربون بفرنسا بعنوان "**اللسانيات العربيّة**

واللسانيات العامة ".في نهاية الستينات أنشأ معهد العلوم اللسانية و الصوتية، وهو أول معهد من نوعه في الوطن العربي، وأسس مجلة اللسانيات التي صَدَر أوّل عدد لها سنة 1971 وباللغات الثلاث: العربية والفرنسية و الإنجليزية، وحازت على سمعة علمية عربيا وعالميا.

وفي سنة 1991 عُين أوّل مدير لمركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية، وفي سنة 2000م أصبح رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية. وهو إلى ذلك عمل عضواً مراسلًا في عدة مجامع عربية هي دمشق (1978) وبغداد (1980) وعمّان (1984)، وعضواً دائما بمجمع القاهرة (2003).

والأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح هو صاحب مشروع علمي حضاري "الذخيرة العربية" وهو المشروع الذي دعا إلى إنشائه منذ تسعينات القرن الماضي، وهدفه وضع بنك آلي للغة العربية يحوسب كلّ نصوصها انطلاقًا من تراث العرب القدامى إلى أيامنا هذه، مع بقائه مفتوحًا على كلّ جديد .وأصبح رئيسًا لمؤسسة الذخيرة العربية منذ سنة 2009 بعد أن تبنته جامعة الدول العربية.كما يعرف عن الأستاذ عبد الرحمان الحاج صالح أنَّه صاحب نظرية لسانية حديثة منطلقها التراث اللغوي العربي الأصيل، وهي"**النظرية الخليلية الحديثة**".

وتقديراً لجهوده العلمية و الأكاديمية الوفيرة المتميّزة في دفاعه عن أصالة التراث اللغوي العربي وخدمة اللغة العربية بحثا وتقويما وتعليما نال جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية و آدابها سنة 2010.أنجز بحوثا كثيرة قدّم معظمها في مؤتمرات علمّية دوليّة في فترة تمتدّ إلى أكثر من نصف قرن، ونشر معظمها بمجلتي "اللسانيات "و"المجمع الجزائري للغة العربيّة". وقد جُمعت تلك البحوث وطبعت في عدة مجلدات منها اثنان بعنوان: "بحوث ودراسات في اللسانيات العربيّة" في جزءين (2007). وثالث موسوم بـ "بحوث في علوم اللسان" (2007). إضافة إلى كتب أخرى، هي:

"السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة" (2007). "منطق العرب في علوم اللسان"(2010). "علم اللسان العربي وعلم اللسان العام " بالفرنسية (2011).

"الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربيّة" (2012). "البنى النحوية العربيّة" (2016).

توفي رحمه الله في 05 مارس 2017 عن عمر ناهز التسعين سنة.

1- انظر: د. عبد الرحمان الحاج صالح؛ مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الثاني، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص 45.

2- انظر: د. عبد الرحمان الحاج صالح؛ قضية المعجم العربي والمصطلحات، كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء1، ص 116.

3- د. عبد الرحمان الحاج صالح، مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، مصدر مذكور سابقا، ص 44.

4- د. عبد الرحمان الحاج صالح، الأسس العلمية لتطوير تدريس اللغة العربية، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء1، ص 69.

5- انظر: المعجم العربي والاستعمال الحقيقي للغة العربية، كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الثاني، ص 143.

6- انظر: مستقبل البحوث العلمية في اللغة العربية وضرورة استثمار التراث الخليلي، مصدر مذكور سابقا، ص 57.

7- المصدر نفسه، جزء2، ص 60.

8- المصدر نفسه، جزء2، ص 45.

9- انظر: د. عبد الرحمان الحاج صالح، الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، جزء1، ص 12 – 13.

10- انظر: Hadj - Salah. A; La notion de syllabe et la théorie cinético impulsionnelle des phonéticiens - Arabes, Revue El Lisanyyat, vol n 1, Année 1971, p63.

11- المصدر نفسه، ص 66.

12- سر صناعة الإعراب، جزء1، ص 16. عن د. عبد الرحمان الحاج صالح، الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة العربية، المصدر السابق نفسه، جزء2، ص 177.

13- د. عبد الرحمان الحاج صالح، الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة العربية، مصدر مذكور سابقا، ص 177.

14- المصدر نفسه، ص 177.

15- انظر: "تعال نُحْي علم الخليل" أو الجوانب العلمية المعاصرة لتراث الخليل وسيبويه. كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الثاني، ص 61.

16- نقلا عن المصدر نفسه، جزء2، ص 178.

17- نقلا عن المصدر نفسه، جزء2، ص 179.

18- المصدر نفسه، ص 180.

19- المصدر نفسه، ص 180.

20- نفسه، ص 180.

21- نفسه، ص 18.

22- نفسه، ص 180.

23- يقول ابن جنّي: "أصل الإدراج للمتحرّك إذا كانت الحركة سببا له وعوناً عليه". (الخصائص:58/1).

24- الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة العربية، مصدر سابق، ص 181.

25- الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، جزء1، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، 2000، ص 58.

26- الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة العربية، مصدر مذكور سابقا، ص 182.

27- المصدر نفسه، ص 182 – 183.

28- المصدر نفسه، ص 182.

29- انظر: ص 11 من بحثه الموسوم بـ: La notion de syllabe مذكور سابقا.

30- نفسه، ص 10.

31- د. عبد الرحمان الحاج صالح، الحركة والسكون عند الصوتيين العرب، مصدر مذكور سابقا، ص 180.

32-المصدر نفسه، ص180 – 181.

33- كان هذا في المؤتمر السادس للعلوم الصوتية الذي انعقد ببراغ سنة 1967. انظر بحثه السابق: La notion de syllabe، ص 1.

34- انظر: الحركة والسكون عند الصوتيين العرب وتكنولوجيا اللغة العربية، مصدر سابق، ص 186.

35- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، جزء2، ص 42.

36- انظر: النحو العربي ومنطق أرسطو، المصدر السابق نفسه، جزء1، ص 50.

37- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 51.

38- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 53.

39- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 53.

40- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 53.

41- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 55.

42-انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 57.

43- المصدر نفسه، ص 63.

44- انظر: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في الوطن العربي، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، جزء1، ص 210.

45- المصدر نفسه، جزء1، ص 212.

46- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 215.

47- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 216.

48- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 217.

49- المصدر نفسه، جزء1، ص 217.

50- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 217.

51- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 217.

52- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 218.

53- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 219.

54- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 219.

55- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 220.

56- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 221.

57- المصدر نفسه، جزء1، ص 221.

58- المصدر نفسه، جزء1، ص 221.

59- المصدر نفسه، جزء1، ص 221.

60- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 222.

61- شرح رموز الصيغة التركيبية: ع=عامل. م1=معمول أول. م2=معمول ثان. خ=مخصّص. ← تركيب واجب، القوسان (...) تجمعان الزوج المرتّب. المعقوفتان [...] تجمعان الوحدة التركيبية الصغرى، وهي علاقة بناء. انظر: المدرسة الخليلية الحديثة ومشاكل علاج العربية بالحاسوب، المصدر نفسه، جزء1، ص 254.

62- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 254.

63- انظر كتابه: السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، من ص29 إلى ص34

64- انظر: الأصالة والبحوث اللغوية الحديثة، المصدر نفسه، جزء1، ص 18–19.

65- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 19.

66- انظر: د. عبد الرحمان الحاج صالح، التحليل العلمي للنصوص بين علم الأسلوب وعلم الدلالة والبلاغة العربية، المصدر نفسه، جزء1، ص 345.

67- المصدر نفسه، ص 346.

68- د. عبد الرحمان الحاج صالح، الجملة في كتاب سيبويه، كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء1، ص 292.

69- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 293.

70- انظر: التحليل العلمي للنصوص، المصدر السابق نفسه، جزء1، ص 338.

71- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 349.

72- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 349.

73- انظر: اللغة العربية بين المشافهة والتحرير، مذكور سابقا، جزء1، ص 75.

74- نفسه، جزء1، ص 76 – 77.

75- نفسه، جزء1، ص 78 – 79.

76- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 79.

77- انظر: المصدر نفسه، جزء1، ص 70.

78- المصدر نفسه، ص 70.

79- انظر: قضية المعجم العربي والمصطلحات، مذكور سابقا، مصدر نفسه، جزء1، ص 114 – 115.

80- د. عبد الرحمان الحاج صالح، المعجم العلمي وشروط وضعه العلمية والتقنية، المصدر السابق نفسه، جزء2، ص 160.

81- المصدر نفسه، ص 160.

82- انظر: المصدر نفسه، ص 160.

83- انظر: الألفاظ التراثية والتعريب في عصرنا الحاضر، المصدر، كتاب: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، جزء2، ص 108.

84- انظر: المصدر نفسه، جزء2، ص 109 و110.

85- نفسه، ص 110.

86- انظر: المصدر نفسه، جزء 2، ص 112.

87- انظر: المصدر نفسه، جزء 2، ص 113.

88- نفسه، ص 11 .

ثانيا: مصادر البحث:

1- د. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

2- د. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الثاني، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

3- د. عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

4- د. عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007.

5- AL - Lisaniyyat; Revue Algérienne de Linguistique, Institut de Linguistique et de Phonétique, Université d'Alger, Volume 1, N°1, Alger 1971.